

جدل الهوية واللغة في الجزائر

*The Debate of Language and Identity in Algerian Society*نصيرة بوطغان^{*1}¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 الجزائر n.boutaghane@univ-setif2.dz

تاريخ النشر: 2026/04/12

تاريخ القبول: 2026/02/20

تاريخ الاستلام: 2025/10/19

ملخص:

يتناول هذا المقال الجدل العميق بين اللغة والهوية في المجتمع الجزائري، فحيث شكلت اللغة في الجزائر إحدى أعمدة الهوية الثقافية والتاريخية. وجد الجزائريون أنفسهم بعد الاستقلال أمام تحدي بناء هوية وطنية وسط تعددية لغوية معقدة. أين برزت العربية كمكوّن مركزي للانتماء الحضاري، بينما عبّرت الأمازيغية عن الجذور التاريخية الأصيلة، وظلت الفرنسية حاضرة كلفة موروثية عن الاستعمار، محمّلة بدلالات الهيمنة. هذا التعدد لم يكن مصدر غنى فقط، بل أثار أيضًا تساؤلات وجودية حول طبيعة الهوية: هل تقوم على اللغة، أم على عناصر أخرى؟ وهل يمكن تحقيق هوية موحدة وسط هذا التنوع؟ يسلط المقال الضوء على كيف أن اللغة في الجزائر ليست مجرد أداة، بل ساحة للصراع والانتماء وإعادة تشكيل الذات الوطنية.

كلمات مفتاحية: الهوية. اللغة، التعريب، الجزائر، الاستعمار.

Abstract:

This article explores the complex relationship between language and identity in Algerian society, where language is not merely a tool for communication, but a core element of cultural and historical identity. Following independence, Algerians faced the challenge of rebuilding a national identity amid a complex linguistic diversity. Arabic emerged as a central component of civilizational belonging, Amazigh reflected deep-rooted historical continuity, while French—though colonial in origin—maintained a prestigious presence. This multilingualism sparked philosophical questions: Is identity rooted in language? Can a unified identity exist within such diversity? The article highlights how language in Algeria has been more than a communicative tool; it is a battleground for resistance, identity formation, and national self-definition.

Keywords: Identity; Language; Arabization; Algeria; Colonization.

1. مقدمة:

ليست اللغة مجرد وسيلة للتواصل؛ إنها وعاء يحتضن ذاكرة الأمة، ويعكس عمق الهوية الثقافية والحضارية للشعوب. وفي السياق الجزائري، شكلت اللغة على الدوام إحدى أهم الروافد الانطولوجية والتاريخية التي تنسج ملامح الهوية الاجتماعية الجزائرية، فلم تكن فقط أداة للتعبير، بل ميداناً للمقاومة والصراع، ومادة أساسية تتشكل منها الأسئلة الفلقة حول الذات والانتماء. خاصة بعد الاستقلال، أين وجد المجتمع الجزائري نفسه أمام مأزق إعادة بناء الهوية الوطنية، وشكلت هاجسا مركزيا في هذا المأزق وإيذانا للصراعات السياسية والثقافية والفكرية. فبرزت العربية كمكون أساسي ومركزي في التركيبة الاجتماعية الجزائري موقع مركزي ورمزاً للانتماء الحضاري، بينما ظلت الأمازيغية تعبر عن الامتداد التاريخي الأصيل، في حين تكرست الفرنسية كلغة إرث استعماري واستطاعت أن تجد لها مكانا مرموقا، وإن كانت مثقلة بدلالات الهيمنة والاستعمار. هذا التعدد اللغوي علاوة على أنه كان يمارس فعله التواصل، إلا أنه كان تجسيدا حقيقيا لوجود أزمة حقيقية في مجتمع متشظي الهوية، مما فتح المجال أمام تساؤلات فلسفية حول معنى الهوية: هل تُبنى على الانتماء اللغوي أم على عناصر أخرى؟ هل يمكن الحديث عن هوية واحدة وموحدة وسط تعددية لغوية؟ وكيف تتفاعل اللغة مع السياسة والتاريخ في رسم ملامح الانتماء الوطني؟ هل ساهم التعدد اللغوي (العربية، الأمازيغية، الفرنسية) في إعادة تشكيل الهوية الجزائرية بعد الاستقلال؟ أم أدى إلى غنى ثقافي وتعدد هوياتي، أم إلى انقسام وصراع داخلي؟

2. الملامح التاريخية للهوية واللغة في الجزائر قبل الاستقلال

1.2. محاولات الاستعمار في فرض اللغة الفرنسية وتأثيرها على الهوية

على مدى 133 سنة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، سعى المستعمر جاهدا ووفق استراتيجيات ممنهجة لإقصاء وطمس بواعث الهوية الجزائرية، من خلال انتهاجه سياسة لغوية وثقافية قائمة على تصفية الشخصية الوطنية المتجذرة في التاريخ.

وقد عمد الاستعمار إلى تكريس عملية تغريب لغوي وثقافي، طالت اللغة العربية تحديداً، لصالح اللغة الفرنسية التي اعتُبرت "غنيمة حرب" يجب إشاعتها وترسيخها في كل دوايب الحياة.

ومنذ بروز ظاهرة الاستعمار لم تتوقف الرابطة بين اللغة والهوية عند حدود التلازم الطبيعي، بل شكلت مطية سياسية وورقة بديلة عن الخيار العسكري في يد القوى الاستعمارية، جرى استخدامها بشكل منهجي تفكيك ثم تركيب وعي جديد للشعوب المستعمرة وبالتالي هدم بنيتها الرمزية. وفي السياق

الجزائري، لم يكن الاستعمار الفرنسي مجرد استعمار واغتصاب لأرض، بل كان أيضاً مشروعاً لمحو وتصفية المرجعيات الثقافية من خلال ضرب اللغة العربية، التي شكلت الوعاء الحي للهوية الجماعية. وقد تجلت هذه الفلسفة في سياسات لغوية ممنهجة هدفت إلى استبعاد العربية من الفضاء العام والتربوي، وترسيخ اللغة الفرنسية كبديل. ولذلك جاء في إحدى التعليمات الصادرة إلى حاكم الجزائر غداة الاحتلال "إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية (إلا عندما تصبح لغتنا هناك قومية، والعمل الذي يترتب علينا انجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن.¹

هذا ما تفتن له رواد الحركة الوطنية وزعماء الإصلاح في الجزائر ونهوا إليه، نظراً إلى خطر الزوال الذي كان يهدد اللغة العربية بفعل السياسات الفرنسية، وعلى الرغم من المواقف الواضحة لهذه الشخصيات البارزة من مسألة اللغة الوطنية، يُلاحظ أن تجذر الثقافة الفرنسية لدى النخب الجزائرية المثقفة باللغة الفرنسية في أثناء الفترة الاستعمارية حال دون تشكل وطنية جزائرية قوامها البعد الحضاري والانتماء الثقافي العربي، خلافاً لما عرفتة بلدان مثل تونس ومصر، أو تبلور حركة إحياء قومية أصيلة وتوحيد الشعب حولها، كما حدث في تركيا. والواقع أن الظاهرة الاجتماعية والثقافية التي يمكن أن نطلق عليها تسمية النخبة الفرنكو - جزائرية، لم تكن نبتة نابغة من مجتمعها، وإنما كانت نتيجة مباشرة للسياسة الثقافية الفرنسية. ولم يكن رفض بعض أفرادها الظاهرة الاستعمارية نابعا من قناعات حضارية.²

وكان الطريق المباشر الذي سلكته فرنسا من أجل تحقيق هذا الملمح، هو تفكيك المدرسة الجزائرية وما يلحق بها من زوايا وكتاتيب ودور التعليم، حيث تؤكد التقارير الفرنسية عن الواقع التعليمي للجزائريين غداة الاستعمار، أن نسبة كبيرة من الجزائريين كانوا يقرؤون ويكتبون، وأن المدارس كانت منتشرة في كل أقطار الجزائر حتى الأرياف، ولم يكن التعليم يقتصر على تعليم العربية وتحفيظ القرآن الكريم، بل إن العلوم العقلية من فلسفة وأدب وتاريخ وحساب كانت منتشرة وتلقى إقبالا مقبولا إلى جانب العلوم الدينية، لكن وبعد شروع فرنسا في تطبيق إستراتيجية التغريب اللغوي، تراجع التعليم في الجزائر، وخفت صوت العربية إلى أدنى مراتبه، ولاحقا أصبح الجزائري لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم شيئا عن ماضيه وتراثه.

وتؤكد مختلف الكتابات الفرنسية أن هذا التحول الذي أصاب التعليم العربي - الإسلامي نتيجة الاحتلال. وقد جاء في إحداها أن التعليم التقليدي، قد توقف عن أداء مهمته، لظروف الحرب من جهة، والاستيلاء على الأوقاف من جهة أخرى، وهجرة المعلمين أو نفيهم من جهة ثالثة. فقد خربت المدارس الثانوية (وهي التي كان منها يتخرج العلماء)، وغادر المتعلمون الزوايا القريبة من مراكز الاحتلال. والأساتذة

أما اكتفوا بأداء الشعائر الدينية دون التعليم وأما انتقلوا إلى أماكن غير محتلة. وامتنع «الأهالي» عن إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية، لأن المدرسة في نظرهم هي حيث يتعلم الطفل القرآن والصلوات وقواعد الدين، بينما المدرسة الفرنسية لا تعلمهم إلا اللغة وربما تعلمهم أيضاً مبادئ دين آخر³.

فعاشرت العربية طيلة عهد الاحتلال البائد، في خضم المعركة، كصخرة سيزيف، وكانت تهمة خطيرة، دون ذنب يلبسها المحتل لكل ذي مروءة ووطنية، يرى فيها كابوسه الذي يقض عليه مضاجعه ويرى فيها القتل الذي يأبى أن يموت، لذلك استصدر بحقها ترسانة من الموانع والقوانين الجزرية الجائرة للقضاء عليها، فأبت إلا أن تحيى⁴.

والسبب في ذلك عزوف الجزائريين عن تعليم أبنائهم الفرنسية وفضلوا الجهل والأمية على أن يتعلموا لغة غير لغتهم لاسيما وأن البديل لغة العدو المحتل والمضطهد، فكان في تصورهم أن هذا الفعل من شأنه ربما أن يخرجهم من الملة ويقضي على كيانهم لأن فرنسا منذ قدومها شرعت في تطبيق سياسة التنصير. ولأن مطلبهم الأسى أن ذاك هو المحافظة على بقائهم بعدما أصبح الجوع والفقر والتهجير يهدد وجودهم، فلم يكن خيار التعليم بالخيار المناسب لتلك الأوضاع بمافيه التعليم العربي. لذلك تميز التعليم بالندرة واقتصاره على القلة من أبناء الطبقة الغنية، أو من أبناء المدن، يقول عثمان سعيدي في كتابه اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والفيتنامية أن هناك صعوبة في إعداد شعب وجيش متعلم ومتطور بلغة بلد آخر من حيث الوقت والتكاليف ونشر العلوم والتقنية بين الجماهيرية بسرعة وعلى نطاق واسع خصوصاً بالمدارس، فأى لغة يتعلم بها الجيش والمواطن الجزائري؟ فالفيتناميون يرون أن المواطن الذي يحب وطنه لا يمكن أن يرضى التحدث بلغة أجنبية عنه، ومن خالف هذه الحقيقة فهو وطني مزعوم، وثوري "مزيف" يقول السيد "نغوين فان هوين -وزير التربية:- «كيف يمكن لمواطنين يعيشون في بلد واحد ويقولون بأنهم يحبون الأرض التي ولد فيها، ويتحدثون عن كبرياتهم الوطني، في نفس الوقت يتكلمون فيما بينهم بلغة أجنبية، ويربون ويعلمون أولادهم بلغة أجنبية ليس لها أي علاقة لا بتقاليد الثقافة الوطنية ولا بخصائصها ولا بأفكار الشعب ومشاعره⁵. ولذلك أدرك المستعمر بتوجيه من الدراسات الأنثروبولوجية للمستشرقين حول اللغات والأعراق، أنه لا سبيل لكسر شوكة أي شعب من الشعوب إلا باللعب على أوتار الهوية، عبر طريق اللغة، وصدح بهذه الكرة معظم الجنرالات الفرنسيين الذين ترددوا على الجزائر منهم دو غول الذي قال: "إذا كنا خرجنا عسكرياً من الجزائر فإننا ثقافياً لا نزال وسنبقى؛ حيث صرح في قضية الخيار بين فصل الصحراء الجزائرية وتكون تابعة لفرنسا وبين بقاء الفرنسية، فقال: "لو يتعين على أن أختار بين بترول الصحراء، وبقاء اللغة الفرنسية في الجزائر لاخترت بقاء اللغة الفرنسية⁶.

2-2 حدود اللغة في بناء الهوية الجماعية.

إن اللغة، رغم حضورها المستمر ووظيفتها في نقل الثقافة وتشكيل أطر التواصل، ليست الجوهر الكلي للهوية الاجتماعية. فالهوية تتجاوز مجرد الألفاظ والرموز لتكون حقلاً متكاملًا من الممارسات الثقافية، والذاكرة الجماعية، والخطاب الذي يصوغ الفكر وبشكل التجربة الإنسانية. وعليه، لا ينبغي اختزال الهوية في لغتها؛ فالهوية اللغوية تمثل بُعدًا جزئيًا داخل شبكة أوسع من الانتماءات والمعاني. يستند هذا الطرح إلى نتائج الدراسات الحديثة في علم اللغة الاجتماعي، التي تؤكد أن الفكر لا يتكوّن بمجرد امتلاك اللغة كأداة، بل من خلال الخطاب الذي يضيف للغة أبعادها الدلالية والاجتماعية، فتتفاعل مع الثقافة والخبرة الإنسانية لتنتج هوية متكاملة ومتغيرة.

والتجربة الجزائرية مع المستعمر وسياسة التغريب اللغوي تكشف مدى الارتباط الوثيق بين اللغة والهوية، التي تم التأكيد عليها في نهاية القرن التاسع عشر مع قدوم الفكرة القومية، وبخاصة في أوروبا (قومية ألمانية، قومية إيطالية)، وبالمثل القومية العربية والتركية وغيرها. ويُعتقد أنّ اللغة هي أحد أهم مؤشرات الهوية الفردية والجماعية، وأحد المكونات الرئيسة التي تعرّف المجموعات وتشكل هويتها. وهي في الوقت ذاته، تؤثر أيضاً في طبيعة العلاقات بين المجموعات العرقية المختلفة. وفي هذا الصدد تقول بوش: «إنّ اللغة هي غالباً أكثر رموز العرقية بروزاً، لأنها حملت الماضي وتعبر عن الاتجاهات والطموحات الحاضرة والمستقبلية»⁷. في الحالة الجزائرية، نجد أنفسنا أمام واقع لغوي مزدوج، حيث تشكّل اللغتان الأساسيتان، العربية والأمازيغية، جزءاً جوهرياً من الذاكرة التاريخية والهوية الجماعية للمجتمع الجزائري. وتثار هنا مجموعة من التساؤلات الجوهرية: ماذا يحدث عندما تتقاطع لغتان في هذه الأبعاد الرمزية؟ هل تصبح الهوية معرضة للتجزئة؟ وهل يؤدي ذلك إلى ظهور هويات متعددة؟ وهل يمكن للوحدة الهوياتية أن تتعايش مع التعدد اللغوي؟ هذه التساؤلات كانت محور نقاش مستفيض وجدل علمي واسع بين اللغويين، من مختلف التوجهات النظرية، سواء أكانوا ينتمون إلى المدرسة البنيوية، أو علم اللغة الاجتماعي، أو اللسانيات الوظيفية، أو الأنثروبولوجيا اللغوية، ما يعكس تعقيد العلاقة بين اللغة والهوية في سياق متعدد اللغات والثقافات.

فبحسب ساطع الحصري فإن دور الدين مقارنة باللغة هو دور ثانوي: "لا الدين ولا الدولة ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية، كما أن الرقعة الجغرافية أيضاً لا يمكن أن تعتبر من المقومات الأساسية، وإذا أردنا أن نعين عمل كل من اللغة والتاريخ في تكوين الأمة قلنا: اللغة تكون روح الأمة وحياتها والتاريخ يكون ذاكرة الأمة وشعورها"⁸، ولذلك نراه دائماً يستشهد في كتبه بالتجربة الألمانية، فبعدما قضت السياسة على وحدة الأرض والشعب والاقتصاد، وتوزع الألمان إلى دويلات متناحرة ومتباعدة، لما يقارب القرن من الزمن، صارت إرادة التوحيد لديهم أقوى من إرادة الانفصال، وعلى الرغم

من التباين الذي عرفته ألمانيا إبان الانقسام في النظام الاجتماعي، والتوجهات السياسية المتناقضة، والطموحات المتضاربة إلا أن الألمان ظلوا أوفياء للغتهم، وهو السبب في رأي الحصري الذي جعل ألمانيا تتوحد من جديد.

أما كتاب سوسير : دروس في علم اللغة العام « course in general linguistics الذي نشر بعد وفاته عام 1916 والذي أصبح في غضون عقد ونصف من الزمن نصاً تأسيسياً في علم اللغة البنيوي. فقد أعلن سوسير أن اللغة langue حدث اجتماعي، وأن القوة force الاجتماعية تعمل على تماسك النسق اللغوي بقوة شديدة إلى درجة لا يستطيع فيها الفرد تغيير اللغة. ولكن يرد التغيير في الكلام parole، بحيث إذا قبلت الجماعة الاجتماعية في نهاية المطاف بالتغيير، فإن النسق ينتقل إلى حالة جديدة، أي إلى لغة جديدة.⁹ ويؤكد سوسير هذا التصور من خلال فهمه لمفهوم الاجتماعي بوصفه رباطاً متماسكاً يجعل الأفراد يتصرفون وفق أنماط مشتركة، لا بوصفه أداة لتمييز الجماعات الفرعية أو التعبير عن اختلافاتها. وعليه، فإن الهوية في المنظور السوسييري ليست متجذرة في اللغة باعتبارها أداة تصنيف أو تمايز اجتماعي، بل تنبثق من الانتماء إلى جماعة لغوية واحدة تشترك في النسق نفسه.

كما كانت الماركسية قوة حاسمة خلف هذا التصور، إذ تحولت إلى واقع سياسي مع الثورة الروسية العام 1917، أي بعد مرور عام من نشر كتاب سوسير : دروس في علم اللغة العام». وفي ظل الاتحاد السوفياتي الذي شكل حديثاً، لقي الكتاب ترحيباً مبدئياً لكونه ينسجم وروح «الشكلانية formalism التي أصبحت شائعة آنذاك. ولقد أولت ملاحظاته بخصوص طبيعة اللغة الاجتماعي بتناغمها مع النظرة الماركسية التي ترى أن كل مظهر مركزي من التجربة الإنسانية هو اجتماعي في أصله وإجرائه. ومع ذلك فإن الطابع الاجتماعي بالنسبة إلى الماركسية يتضمن الطابع السياسي : ذلك بأن المجموعات الفرعية التي يجري التمييز بينها اجتماعياً تتنافس فيما بينها لتعزيز مصالحها على حساب الآخرين.¹⁰

وتوضح حالات التعدد اللغوي مظهري التعيين معاً بواسطة اللغة، فالمتكلم ثنائي اللغة قد يعين بواسطة سمات لغوية مشتقة من اتصال اللغة. وفي بعض الحالات يثير هذا مشاعر الدونية والتمييز أو الإقصاء من المجموعة المهيمنة، أو على العكس من ذلك، مشاعر الحميمية والاعتراف والتواطؤ مع أولئك الذين يتقاسمون اللغة خصوصاً في اللغة الشفوية غير المراقبة من قبل القوة المعيارية للكتابة، سيعاني قمعاً عبر طوطمية اللغة المهيمنة، فسيادة هذه الأخيرة ينظر إليها كدليل على الولاء للدولة التي تفرضها، واندماجاً في المجموعة المؤسسة عن خطأ على هوية لغوية واحدة. وتشير هذه القيود السوسيوولسانية إلى الصعوبات التي تبرز دائماً في حالات الاتصال¹¹

على الرغم من الواجهة النظرية التي تنطوي عليها بعض التصورات التي تربط اللغة بالهوية، فإنها تظل عاجزة عن الإحاطة الكاملة بتعقيد الظاهرة الهوياتية، إذ تصطدم بشواهد تاريخية واجتماعية متعددة

تكشف عن طابعها النسبي. فكما أن هناك جماعات بشرية أسهمت وحدة اللغة لديها في بلورة شعور قوي بالانتماء الهوياتي، توجد في المقابل جماعات أخرى تتكلم اللغة نفسها دون أن تنشأ بينها هوية مشتركة أو وعي جماعي موحد. ويكشف هذا التباين أن العلاقة بين اللغة والهوية ليست علاقة سببية مباشرة أو حتمية، بل علاقة مشروطة بسياقات تاريخية وثقافية وسياسية محددة، تتداخل فيها اللغة مع عناصر أخرى أكثر عمقاً في تشكيل الهوية. ومن ثم فإن اللغة لا يمكن اعتبارها شرطاً كافياً ولا عاملاً وحيداً في بناء الهوية، بل أحد مكوناتها الممكنة ضمن بنية مركبة ومتغيرة. وبرز الأمثلة التي يمكن أن نسوقها هنا، الشعوب الناطقة بالإنجليزية، البريطاني والإنجليزي والأسترالي، فالأمريكي لا يشعر أنه تجمعه هوية مشتركة مع الأسترالي.

إن في كل لغة علاقة تفاعل مستمر مع ثقافة المجموعة الناطقة بها؛ وهي تساهم في تشكل الهوية الثقافية لأفراد تلك المجموعة، كما تترك بصماتها جلية في نمط تفكيرهم؛ ونُعَدُّ ناقلاً ممتاز للثقافة عبر الأجيال والعصور. بيد أن هذا الدور المهم الذي تقوم به اللغة في تشكيل الهوية الثقافية، لا يعني بتاتا أنها العامل الوحيد والحصري في بنائها. ونجزم أنه يكاد يكون من المستحيل في عالمنا العثور على شخص استثنائي، يمكن أن يُعرَّف بالانتماء إلى مجموعة ثقافية ولغوية وحيدة. فالمواطن المغربي على سبيل المثال هو في آن واحد مسلم، عربي، أمازيغي، أفريقي، أندلسي ... ولا نبتدع جديداً عندما نقول إن هذه المكونات كلها تساهم في تشكيل هويته بمستويات متفاوتة.¹²

يفضي هذا الطرح إلى القول إن الهوية لا تتحدد بعنصر واحد معزول، بل تتشكل من تفاعل مركب بين جملة من العناصر المتداخلة، الثقافية والتاريخية والاجتماعية والرمزية. ونظراً لتعقيد هذا البناء وتشابك مكوناته، كان من الطبيعي أن تنشأ اختلافات نظرية وصراعات فكرية بين اللغويين والباحثين، وأن تتوالى المقاربات والتفسيرات دون أن تحسم المسألة نهائياً.

فالهوية ليست معطى جاهزاً أو ثابتاً، بل سيرورة تاريخية تتغير بتغير الشروط التي تنتجها. وفي هذا السياق، لا يمكن اعتبار اللغة عاملاً حاسماً أو جوهرياً في تحديد الهوية، إذ إن اللغة نفسها ليست معطى مفروضاً أو أبدياً، بل نظام قابل للاكتساب والتعلم. فبوسع الفرد أن يتقن لغة جماعة أخرى دون أن يفضي ذلك بالضرورة إلى تبني هويتها أو الشعور بالانتماء إليها، وهو ما يؤكد أن العلاقة بين اللغة والهوية علاقة احتمالية وسياقية، لا علاقة تطابق أو حتمية.

يوجد في كل العصور أناس يعتبرون أن هناك انتماء واحداً مسيطراً، يفوق كل الانتماءات الأخرى وفي كل الظروف، إلى درجة أنه يحق لنا أن ندعوه «هوية». هذا الانتماء هو الوطن بالنسبة لبعضهم والدين بالنسبة لبعضهم الآخر. ولكن يكفي أن نجول بنظرنا على مختلف الصراعات التي تدور حول العالم لنتنبه

إلى أن أي انتماء لا يسود بشكل مطلق. فحيث يشعر الناس أنهم مهددون في عقيدتهم يبدو أن الانتماء الديني هو الذي يختزل هويتهم كلها. ولكن لو كانت لغتهم الأم ومجموعتهم الاثنية هي المهددة لقاتلوا بعنف ضد أخوتهم في الدين. فالأتراك والأكراد كلاهما مسلم ولكنهما يختلفان في اللغة ألا يدور بينهما صراع دموي؟ والهوتو كالتوتسي، كلاهما كاثوليكي، ويتكلمان اللغة ذاتها. هل منعهما ذلك من التذابح؟ وكذلك التشيكويون واليوغسلافيون كاثوليكيون أيضاً، فهل سهل ذلك العيش المشترك؟¹³

لذلك كانت الهوية في نظر علماء الاجتماع، مجموعة أنماط سلوكية يستجيب بها الفرد للمؤثرات التي يتعرض لها، وهي لا تفصح عن نفسها إلا في إطار الارتباط بالجماعة والتعبير عن عاطفة الانتماء. لهذا، فإن أهم مميزاتها الانخراط والمشاركة في الجماعة، إذ هي تعبر عن الشخصية الكامنة في الذاكرة الجمعية، وتفصح عن الذاتية الجماعية المكتسبة عبر الزمن¹⁴.

غير أن التعايش في وئام وتمازج متبادل ليس قاعدة مطلقة فقد تتحول الهوية إلى أداة للصراع كما هو الشأن في الوضعية الكولونيالية التي عرفت الجزائر حيث تحولت على الرغم من تاريخها الطويل وتراثها العريق بعد سنتين من الاحتلال 1834 إلى مجرد امتداد جغرافي لفرنسا مما جعل الهوية تستخدم من كلا الطرفين المتصارعين من منظور استراتيجي هي بالنسبة للجزائريين كفاح من أجل البقاء، وهي بالنسبة للغزاة الفرنسيين عائق ينبغي إزالته لابتلاع الأرض وتفرغ سكانها من الانتماء إليها وإلى عمقها المعنوي الدين واللغة وهما من أهم دعائم الانتماء إلى مجموعة وطنية.¹⁵

3.2. هل كان هناك صراع هوياتي بين العربية والامازيغية قبل الاستقلال

عند احتلال فرنسا للجزائر، لم تكن مسألة الصراع والمفاضلة بين اللغات بالمسألة المطروحة، ولم تدخل الهوية في صراع مع أية لغة أو لهجة في أية جهة من الوطن، باستثناء واحدة هي الفرنسية التي كانت جزءا من جهاز القمع والاستعلاء والاحتواء الكولونيالي، ولا بد لفهم اتجاه القسم الأكبر من رأينا العام الثقافي نحوها من وضعها في ذلك السياق التاريخي أو ما يسميه قانون الوضعية الكولونيالية" (Situation coloniale).¹⁶

ومن أجل تثبيت جذوره سعى المستعمر الفرنسي إلى تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية لشعوب شمال أفريقيا عبر استثمار آليات التفرقة القومي، فعمل على إعادة تشكيل الهويات من خلال اختراع ثنائيات قومية، أبرزها خلق "قومية أمازيغية" في مواجهة ما اعتبره حضوراً مهيماً للغة العربية، بوصفها حاملة لبذور القومية العربية. هذا التوجيه الاستعماري لم يكن اعتباطياً، بل نابع من إدراك عميق بأن نهضة القومية العربية الكامنة لا تحتاج إلا إلى محفز انفصالي مضاد لتتشكل في صورة رد فعل. بذلك، تم تفعيل منطق "فرّق تسد" بوصفه استراتيجية ثقافية وسياسية هدفها تفجير توتر دائم بين هويتين متخيلتين

صاغهما الغرب، فتصبح المقاومة ضد الاستعمار مؤجلة، والوحدة في مواجهة الهيمنة الأوروبية متعذرة، ليغدو شمال أفريقيا ساحة مفتوحة لصراعات أهلية، واستقطابات ثقافية، وتمزقات هوياتية مستمرة.

لذلك ركزت الإدارة الفرنسية في سعيها إلى تجسيد مشروعاتها على المناطق ذات الموقع الاستراتيجي والكثافة السكانية العالية والتميزة من أغلبية السكان من حيث العادات والتقاليد واللهجة المحلية، فكانت منطقة القبائل مستهدفة أكثر من غيرها؛ إذ أخضعت لعملية فرنسية عميقة ساهمت فيها المدرسة الفرنسية إلى جانب نشاط الإرساليات الدينية المعروفة بجماعة الأخوات والآباء البيض وهذا ما تظهره نسبة التمدن في هذه المنطقة الريفية، والذي كان يناهز النسبة في المدن الكبرى، إذ ارتفعت نسبة المتدربين ببلاد القبائل إلى مستويات لم تشهدها الأقاليم الجزائرية الأخرى.¹⁷

وهذا الاهتمام المتزايد بمنطقة القبائل من قبل الإدارة الفرنسية إنما يعكس رغبتها في زعزعة الهوية والبنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري إيماناً بأن السيطرة العسكرية غير كافية بل هي أخف وطأة، ولم تكن فرنسا لوحدها من انتهجت هذه السياسة إنما اعتمد المشروع الإمبريالي ككل في سياقه الثقافي على تفكيك النسيج الهوياتي العربي من الداخل، لا عبر المواجهة المباشرة، بل من خلال بثّ سرديات إثنية فرعية تُعاد هندستها رمزياً لتتحول إلى بدائل مهيمنة تُنزع الهوية العربية موقعها العتيق. وفي هذا السياق، لم يكن تغذية الهويات العرقية الهامشية سوى تعبير عن استراتيجية نفسية تعتمد إحياء رواسب أنثروبولوجية ماضوية، وانتزاعها من سياقها التاريخي لفرضها كمرجعية مركزية مضادة للوحدة القومية. هكذا، يُعاد إنتاج التصدّع والانشقاق من داخل الوعي الشعبي ذاته، حيث يُستدرج هذا الوعي إلى تبني تصورات هوياتية تُغذي الانقسام، وتحوّل هبة التعدد الثقافي واللغوي إلى ميدان للصراع والتناحر، حيث تشير التقارير الفرنسية ذاتها فيما يتعلق بحالة الجزائر أن الأمازيغ كانوا متصالحين مع العرب والعربية ولم تكن تشكل اللغة بالنسبة لهم تهديداً، أو لغة مضادة.

ومن الأمثلة النموذجية للامتزاج الإيجابي ما سجله المؤرخون عن التساكن بين اليهود والعرب في الأغواط في جزائر ما قبل الاحتلال الكولونيالي حيث تبنى اليهود الهوية العربية الإسلامية. وتذكر "كلير لالو" في بحث لها عن "يهود الأغواط: 110 من حياة اليهود في الأغواط 1852-1962".

C, Lalou Histoire et memoire 110 ans de vie juive à Laghouat, 1988

تقول: إن العائلات اليهودية كانت تبعث بأبنائها قبل الاحتلال الفرنسي إلى المدارس القرآنية لتعلم الكتابة والقراءة، وتزور أضرحة الأولياء المسلمين وتبكيهم وتقدم لهم النذور، ولا تمنعها يهوديتها من القسم المعظم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو قسم يطمئن إليه المسلمون العرب، ويثق فيه اليهود على حد سواء. أليس ذلك دليلاً ساطعاً على التسامح العريق عند الجزائريين وقبولهم للآخر وقبول الآخر لهم¹⁸.

وفي دراسة هانتو ولوتورنو عن منطقة القبائل ما يؤكد هذه الظاهرة كما سنرى، فقد قالوا إن كل فرد في المنطقة يعرف القراءة والكتابة، وللسكان مدارس عامة، واعتزاز قوي بدعم هذه المدارس إذ يرون في ذلك واجباً دينياً ونخوة خاصة ولغة التدريس هي اللغة العربية والمواد كلها إسلامية، وهي تتبع المنهج الإسلامي والتعليم في هذه المؤسسات على مرحلتين: ابتدائي وثانوي. وهناك بعض المدارس¹⁹.

كما تضيف المؤرخة في مكان آخر شهادة أدلى بها كاريث (Carette) (والي بجاية) حيث سرد الوقائع التالية: "طلب أهالي بجاية مقابلتي وعند استقبالهم لم يشتكوا لي لا من حجز ممتلكاتهم ولا من يؤسهم الشديد، بل قالوا: أصلحوا لنا مسجدنا وامنحونا مدرسة لائقة، وادفعوا أي راتب لمعلمها حيث يتعذر علينا دفعه، هذا كل ما نطلبه منكم" لقد تأثرت أيما تأثر بوجود مثل هذه التضحية والإيثار إلى جانب عوز وفاقة شديدين يمثل هذه الحدة. ووعدهم بأن أتوسط لهم بقوة نظراً لمشروعية تلك الرغبات²⁰.

وتفننا في أساليب التفرقة والشقاق أحدثت الإدارة الفرنسية قناة إذاعية للإرسال بإحدى اللهجات البربرية، هي لهجة بلاد القبائل الكبرى) وهي المنطقة التي كان يراهن قادة الاحتلال على أنها ستفرنس وتنطلق منها شرارة البعث الفرنسي الموعود لوصول الأحفاد بالأجداد (الرومان)، وقد أولاهما اهتماما خاصا دون المناطق الأخرى التي توجد بها أقليات تستعمل إحدى اللهجات البربرية (الأمازيغية) في الحياة اليومية على الصعيد الشفهي سواء في بلاد ميزاب والتوارق في الجنوب، أم الأوراس في الشرق، أم الرقيبات في الغرب²¹.

إن الانسجام الثقافي للمجتمع إذن هو الشرط الأول للمناعة، كما أن التعدد اللساني والتنوع الثقافي هو في الحقيقة ثروة وطنية وإنسانية باقية ومتجددة إذا لم تستعملها قوى دخيلة أو مضللة لأغراض التحريك عن بعد والفتنة والإضعاف²². فلا سبيل لإشغال الجزائر بنفسها، وإضعافها من الداخل، إلا عن طريق اشتباك مهلك يستنزف قواها، ويعطل وظائف هويتها المتمثلة في إسلام يجمع ويوحد، ولغة لا علاقة لها بالعرق والطائفة ولا بالتقدم أو التخلف، وأمازيغية سكنت بين الإسلام وسكنت إليه هي في تناغم ووثاق²³.

إن قراءة بسيطة في مسار الحركة الوطنية الجزائرية وحوادث ما بعد الاستقلال وما شهدته من صراعات ومشروعات إصلاح التعليم المتجددة تبين أن قضية اللغة تحتل مكانة محورية في المسألة الثقافية في الجزائر لارتباطها بمفهوم الشخصية الوطنية، ولكونها القاعدة الصلبة التي تقوم عليها سيادة الأمة، من منطلق أن السيادة السياسية لأي شعب من الشعوب تنتمي في غياب سيادة ثقافية لغوية، فالنسق اللغوي هو الذي يسمح لأمة ما بالتواصل وتشكيل هوية سياسية ويسمح لها ببلورة هويتها الذاتية.

3. الملامح التاريخية للهوية واللغة في الجزائر قبل الاستقلال

1.3. العربية كلغة رسمية ودورها في بناء الهوية الوطنية

لم تكن لحظة استقلال الجزائر نهاية للهيمنة الاستعمارية، بل بداية لمرحلة جديدة من الصراع الرمزي على امتلاك أدوات تشكيل الهوية الوطنية، وفي مقدمتها اللغة والتعليم. ولقد وجدت الدولة الجزائرية الناشئة نفسها أمام مفارقة حادة: كيف يمكن بناء مشروع ثقافي وطني انطلاقاً من أدوات تركها المستعمر؟ ففي حين تم إقرار اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية في النصوص الدستورية*، ظل الحضور الفعلي للفرنسية في المؤسسات التعليمية والإدارية قائماً، ليس فقط كإرث تاريخي، بل كامتداد لبنية استعمارية صُمّمت لتستمر بعد انسحاب الجيش. وهو ما تجلّى في اتفاقيات التعاون الثقافي التي ضمنت لفرنسا بقاءها الرمزي في الجزائر، من خلال إرسال البعثات وتنشيط المراكز الثقافية، في مقابل حضور جزائري شبه غائب على مستوى التبادل.

هذا التناقض بين النصوص الطموحة والواقع المتردي فتح الباب لجدل واسع داخل النخبة السياسية والفكرية، لم يكن مجرد نقاش لغوي، بل كان تعبيراً عن صراع أعمق بين رؤيتين للهوية: واحدة ترى في اللغة العربية طريقاً نحو استعادة الذات، وأخرى تنظر إلى الفرنسية كنافذة على الحداثة والمعرفة. فالتعريب لم يكن فقط قراراً إدارياً، بل معركة وجودية في وجه نظام رمزي لم يغادر، بل أعاد تشكيل نفسه في بنية الدولة الجديدة.

لقد أظهر الخطاب السياسي في تلك المرحلة اضطراباً واضحاً تجاه هذه القضية؛ فبينما عبرت خطابات كل من بن بلة وهواري بومدين عن رغبتهم في تبني اللغة العربية ليس كلغة رسمية للدولة، وإنما كلغة للمحيط الاجتماعي والثقافي وخاصة ميدان التعليم*، كانت هناك مقاومة شديدة من قبل التيار الفرانكفوني ومنهم مصطفى الأشرف وآيت أحمد الذين لم يكتفوا بتعطيل التعريب بل حاربوا اللغة العربية وعملوا على تشويه المشتغلين بها، لقد وصف مصطفى الأشرف المدافعين عن العربية بحفاري القبور ونعت اللغة العربية بلغة العاطفة ولغة الآخرة والماضي البائد. حيث يقول في كتابه: وبمقارنة واقع الثقافة الجزائرية العربية اللسان، مع الثقافة الجزائرية الفرنسية اللسان، فإننا نستطيع أن ندرك لماذا كان الواقع الثقافي. عندما يقوم على العنصر العاطفي وحده، وينهل من رصيد فقير متألف من ألفاظ جوفاء واعتقادات باطلة وأفكار متحيزة -لماذا كان هذا الواقع الثقافي، رغم ما قد يطرأ عليه من تطور سياسي وتقدم في مختلف النواحي، متخلفاً عن العصر، بل متخلفاً حتى بالمقارنة مع الماضي، بسبب ادعاء الوفاء للماضي البائد، والتمسك بحقائق ساذجة²⁴، ثم يضيف قائلاً: إن الواقع فرض الفرنسية، وأنهم على أية حال مازالوا متمسكين باللغة القومية. وما لبث الشعب أن أخذ يعتبر الفرنسية لغة الدنيا، على عكس العربية التي أصبحت لغة السمو الروحي في الآخرة، وهذا نظراً إلى اضفاء الطابع الديني عليها

وتنزيهها من الحرام ومن المكروه . ونحن إذا تأملنا في هذه المسألة نلاحظ الفصل بين جانبيين كانا في السابق مندمجين، وهما: الدنيا والآخرة . ونجدد القول بأنه لم يقع تفضيل مقصود للغة ما على حساب اللغة الأخرى . وكل ما في الأمر أن هناك حاجة ماسة إلى أداة ينتفع بها الجزائري ويحلّى بها مشاكله²⁵.

وبالمثل اعتبر آيت احمد أن التعريب يشكل خطرا على الثقافة والفكر والتقدم الحضاري فطلت بالتالي مسألة التعريب أسيرة التردد، تعكس هشاشة في الإرادة السياسية أكثر مما تكشف عن عجز مادي. حتى في لحظات التصريح بالانتماء العربي، بقي الفعل مؤجلاً، وكأن الإقرار بالهوية لا يستوجب ممارستها، بل يكفي الإحساس بها "في عمق القلب" كما عبّر أحد الرؤساء.

صحيح لقد نظر بعض القادة إلى التعريب بوصفه ضرورة وطنية وثورية، وعلى رأسهم الرئيس الراحل هواري بومدين الذي ذكر في أول ندوة وطنية للتعريب، دامت م 1975/05/14 إلى 17 / 5 / 1975 ، أن التعريب لا يقصد به القضاء على أرزاق الناس الذين لهم تكوين باللغة الفرنسية لذلك فإن حركة التعريب تندرج في حركة الثورة الشاملة.²⁶ ومنهم كذلك سابقه الرئيس بن بلة وقبلهم مناضلو جبهة التحرير الوطني اللذين تأكد لديهم أن النضال الثقافي وقضية اللسان العربي جزء من النضال المسلح الذي اتخذته حلا نهائياً؛ فقد رفعت هذه الجبهة شعار إعادة الاعتبار للغة الوطنية، وعم تعليم العربية سائر وحدات جيش التحرير ... وقامت جبهة التحرير بالزام من يعرف العربية بتعليمها لمن لا يعرفها. وركزت حملة التعريب هذه ومحو الأمية على نزلاء السجون والمعتقلات، وحققت هذه الحملة سواء في مواقع جيش التحرير بالجبال أو بالسجون والمعتقلات إنجازات ضخمة²⁷. رغم إن كثيراً من مناضلي جبهة التحرير الوطني قد تمردوا وانحرفوا عن هذا المسار بعد الاستقلال.

ومشروع التعريب بالنسبة لهؤلاء لم يكن مجرد إجراء إداري أو عملية تقنية لنقل المعرفة من لغة إلى أخرى، بل كان فعلاً من أفعال السيادة الثقافية، وثورة رمزية تروم تفكيك بنية الاستلاب التي خلفها الاستعمار في عمق الذات الوطنية. فالأمر يتجاوز استعادة اللغة العربية بوصفها أداة تعليم، إلى استعادتها كأفق وجودي وحضاري، يحمل إمكانية إعادة تشكيل الوعي الجماعي الذي تعرض لعمليات تشويه ممنهجة، طالبت الذاكرة والانتماء والهوية.

من هذا المنظور، يُغدو التعريب ضرورة وجودية لا تقل شأناً عن أي مسعى للتحرر السياسي أو الاقتصادي، بل هو شرط لاستكمال مشروع الاستقلال في أبعاده الرمزية والمعرفية. إن الفشل في حمل هذه الثورة الثقافية إلى مداها الأقصى، يعني بقاء الذات الوطنية رهينة التبعية اللغوية والفكرية لمنظومة استعمارية لم تنقطع فعلياً، بل استعادت تموضعها من خلال أدوات الثقافة والتعليم. لكن هذه الجهود واجهت منظومة تعليمية وثقافية بنيت على نموذج مغاير، جعل من الفرنسية شرطاً للارتقاء الاجتماعي

والفكري وهكذا، تركزت الازدواجية اللغوية لا بوصفها حلاً مرحلياً، بل كواقع دائم يُعبّر عن انقسام في الوعي الجماعي، وانفصام بين ما يُقال وما يُمار، وهذا هو هدف الاستعمار الذي اجتهد في تنويع سياساته لتكريس الصراع الهوياتي مستثمراً في عنصر اللغة.

واتصفت السياسة الفرنسية الاستعمارية بتشبيهاً بإدماج القطر الجزائري في البوتقة الفرنسية للقضاء على كل حق ورغبة في تشكيل شخصية وطنية فريدة في أصلاتها. وترتب على ذلك تعدد النزعات داخل المجتمع الجزائري ذاته، وقد رسخت جذورها منذ مدة طويلة عن طريق الانتقاء الثقافي الذي ميّز بعض العناصر المحلية مكافأة على إخلاصها للحكم الفرنسي. فقد احتدم الصراع حول التعريب وتجسم في نزعتين، نزعة رغبت في التعريب الفوري الشامل العاجل تاركة للفرنسية وضع اللغة الأجنبية، ونزعة ترى أن الثنائية اللغوية تشكل ضرورة لا مفر منها في الجزائر، أو أن ذلك بمثابة الوضع القائم لأمد طويل. وأثيرت قضايا قديمة تجسدت في التقسيم اللغوي العنصري، مثلاً إمكانية منافسة اللغة القبائلية البربرية غير المكتوبة للغة العربية²⁸، واستمر قانون التعريب مجمداً إلى أن ألغي التجميد بمرسوم أصدره الرئيس اليامين زروال في 21 ديسمبر 1996، وتم تأسيس المجلس الأعلى للغة العربية لتطبيق القانون. لكن كان للتيار الفرنكوفوني رأي آخر، فتم تنحية اليامين زروال لأن المساس باللغة الفرنسية كان يعتبر من الطابوهات، ودُفع زروال إلى الاستقالة. ومن أمثلة ذلك كذلك ما ذكره عثمان سعيدي في مقال له تحت عنوان: "اللغة العربية في عهد عبد العزيز بوتفليقة": إن أسوأ فترة حكم عرفتها اللغة العربية هي فترة حكم عبد العزيز بوتفليقة. انتخب بوتفليقة في أبريل 1999، وفي مايو من نفس السنة ألقى خطاباً أمام الطلبة الجزائريين شكك فيه في كفاءة اللغة العربية في تعليم العلوم، وردت عليه «الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية» برسالة مفتوحة نشرت بالصحف يوم 28 مايو 1999. دشّن عهده الأولى، فزار فرنسا زيارة دولة رسمية في يونيو 2000، وألقى خطاباً أمام البرلمان الفرنسي، وتصور البرلمانيون الفرنسيون أن بوتفليقة سيحترم السيادة الوطنية التي يمثلها ويتكلم باللغة العربية، فوضعوا السماعات على آذانهم لكنهم فوجئوا أنه يخطب بالفرنسية، فابتسموا وهم يبعدون السماعات.²⁹

ومثال ذلك أيضاً أن المثقفين باللغة العربية ليس أمامهم الفرص الكبيرة لتقلد مناصب سياسية سامية في الدولة، وهذا راجع لكون أغلبية الوثائق الإدارية والتعاملات تكون باللغة الفرنسية، وهو أمر لا نراه عيباً في اللغة سواء كانت العربية أو الفرنسية، ولكن العيب في من يوظفون اللغة لدواعٍ أيديولوجية³⁰.

إن التجربة الجزائرية ما بعد الاستعمار، حين نقرأها من زاوية فلسفة اللغة والسيادة الثقافية، تكشف عن مأزق لم يُحلّ بعد: كيف يمكن لشعب أن يُعيد بناء ذاته بلغته، وهو ما يزال يعيش داخل البنية الرمزية للمستعمر؟ بل كيف يمكن أن تُمارس الحرية السياسية في ظل تبعية ثقافية لم تُفكك جذورها؟

إنها أسئلة لا تزال تفرض نفسها، ليس فقط على الماضي، بل على كل مشروع يروم استعادة السيادة على المعنى والرمز واللسان.

ومن أجل تلك الأسباب طرحت المسألة اللغوية والهوية في الجزائر بقوة، حيث تعد مسألة اللغة والهوية أبرز مكونات أزمة بناء الدولة في أفريقيا والمنطقة العربية، ومن بينها الجزائر ولو بدرجات متفاوتة. وفي هذا الصدد يؤكد وزير التربية والتعليم الأسبق علي بن محمد في برنامج بلا حدود بالقول: إن المعركة حول اللغة والهوية في الجزائر لم تندلع، لأنها لم تخفت قط وكانت دائماً حاضرة³¹. وهو الخطر الذي استشعره مولود نايت بلقاسم، حيث تناول بحس نقدي رفيع ما أصاب الهوية الجماعية من تصدعات بنيوية جرّاء تراكمات الاستعمار، لا سيما في مستويات اللغة والدين بوصفهما حاملين للمخيال الرمزي والمعنى الثقافي. ولم يكن قلقه مقتصرًا على الإرث الكولونيالي فحسب، بل امتدّ إلى تمثّل نقدي لما أصاب المجتمع من أنماط ثقافية وقيم سياسية كونية، غالبًا ما تتقاطع مع منطق الهيمنة الرمزية والاستلاب الحضاري. وفي هذا السياق، اتّسم موقفه الفكري بالصرامة والثبات على المبدأ، إذ لم يتوانى في التشكيك في كل ما من شأنه أن يُعيد صقل الشخصية الوطنية خارج إطارها التاريخي والثقافي الأصيل، اللغة والدين، وبالنسبة له: إن وجود أمة من الأمم بوجود إنيته التي تتكون من شخصيتها، وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة: الدين واللغة وحب الوطن³².

والإينية عند مولود نايت بلقاسم هي المرادف للهوية، حيث رفض استعمال هذه الأخيرة لأنها بالنسبة له مصطلح دخيل على اللغة العربية ولا يمثل الأصالة، وهذا حرصا منه على محاربة التغريب والاختراق والذوبان في شخصية الآخر، ووفائه الشديد للغة العربية التي دافع عنها بضراوة حيث يقول: نريد من البعض الإقلاع عن الزعم بأن العربية عاجزة عن التعبير عن العلوم الحديثة، فالعجز ليس عجز اللغة وإنما عجز الأدمغة عن التفكير المستقل وعن الإنتاج والبناء على أساس تراث الأجداد، تراث الحضارة الإسلامية العربية³³، وعن الارتباط بين اللغة والإينية يقول: وكما حرصنا على استرجاع جميع مواردنا وثرواتنا المادية سنعمل على تعزيز هذا التكوين بتربية وطنية مثلى تساعدنا على استعادة جميع ثرواتنا المعنوية وعناصر شخصيتنا، والمكونات الأساسية لذاتيتنا، ومن أهمها الوسيلة الأولى للتعبير عن هذه الشخصية ... وبدون استرجاع هذا العنصر الهام الذي هو عنصر اللغة فإن مجهودنا سيظل أبتّر، وشخصيتنا ناقصة، وذاتيتنا جسما بلا روح³⁴، وهو عندما يتحدث عن الاسترجاع فإنما يريد أن يثبت ويقيم الدليل على وجود أمة جزائرية سابقة عن الاستعمار، ردا على المشككين الذين حاولوا الطعن في التاريخ الوجودي للأمة الجزائرية، التي ظلت بالنسبة له عالقة بين هويتين متناقضتين، الهوية العربية الإسلامية الأصيلة والهوية الفرنسية الدخيلة.

2.3. اللغة والهوية وصناعة الأزمة، ملامح صراع مفتعل بين العربية والأمازيغية

لم تكن العلاقة بين العرب والبربر عبر التاريخ علاقة صراع هوياتي قائم على التنافر أو الإقصاء، بل كانت في الغالب علاقة تفاعل حضاري وانصهار ثقافي داخل إطار مشترك. وإن سُجِّلَت بعض التوترات والصدامات في فترات معينة، فإنها لم تكن ذات طابع وجودي أو تهديد للهوية، بل جاءت نتيجةً لظروف سياسية ظرفية أو رهانات سلطوية آنية، ولم ترقَ في جوهرها إلى مستوى إشكالية هوية عميقة أو نزاع إثني كما تصورها الخطابات المعاصرة، لقد تعايش العرب والبربر لعصور في تجانس وتلاحم، فبعد اعتناق البربر للإسلام وخمود نار المقاومة للفتح الإسلامي قَبْل الأمازيغ الإسلام بحماسة وساهموا بقوة في انتشاره والدفاع عنه، وأفضى التداخل والتفاعل بين العرب والبربر عبر قرون إلى تشكّل مجتمع جزائري موحد، يتقاسم مقوّمات ثقافية وهويّاتية مشتركة، دون أن يلغي خصوصية كلّ طرف، بل جعلهما يتكاملان في إطار وطني جامع، وقدمت الثورة الجزائرية لاحقاً ملحمة تاريخية لهذه الوحدة، حيث شكّل الجزائريون بكل مكوناتهم القبلية أو الدينية أو العشائرية كتلة واحدة في مواجهة المستعمر عبر عنها محفوظ نحاح قائلاً: فانصهرت في بوتقة التاريخ المشترك ثورية وعزة الأمازيغ مع شهامة وشجاعة العرب، في ظل سماحة الإسلام وعدله، ونتج عن ذلك مجتمع جديد، المجتمع الذي فتح أبنائه الأندلس، ... المجتمع الذي رفض الرضوخ لكل الغزوات والهجمات³⁵ رغم محاولات التفرفة المدروسة والممنهجة.

وما أن استقلت الجزائر حتى راح الفرنسيون يعملون لتطبيق خطتهم البربرية، فأسسوا الأكاديمية البربرية سنة 1967 في جامعة باريس 8 فانسين، وبعد عشر سنوات من صدور كتاب الجنرال أندري. وقامت بإعداد العشرات من حامي المايجستير والدكتوراه في اللغة البربرية، أشهرهم سليم شاكر، وربطتهم بأجهزة الاستخبارات الفرنسية، وراحت تعمل³⁶ لصنع ضرة للعربية من البربرية تدخلان في صراع بينهما إبقاء لهيمنة اللغة الفرنسية على دول المغرب الأربع. قام هؤلاء الخريجون مع أساتذتهم بعملية تطهير للهجة القبائلية التي اعتمدها كلغة بربرية، من الكلمات التي بها رئة العروبة والأسلام، كانوا يستبدلون الكلمات بطريقة فجّة جعلت علماء لغويون فرنسيون يحتجون على هذه العملية، مثل الثلاثة الذين كتبوا مقدمة قاموس [اللغة القبائلية] المطبوع سنة 1982 للأب داليه، الذي توفي قبل نشره، وهو عالم أثبت نزاهته وتعامل مع البربرية كلغة ذات جذور عربية؛ والثلاثة تلاميذ له، وهم: مادلين آلان، وجاك لانفري، وبيتر ريسينك³⁷.

وعندما أعلنت الدولة الجزائرية بدء تطبيق قانون استعمال اللغة العربية في موعده المحدد ثارت ثائرة الإعلام الفرنسي وشن حملة ضارية ضد اللغة العربية، واعتبرها كارثة كبرى حلت بالجزائر وكعبرة للتاريخ والأجيال أورد بعض عناوين الجرائد الفرنسية التي ملأت بها صفحاتها الأولى، وبالخط العريض نشير إلى بعضها:

- قالت ليبراسيون: التعريب بالقوة في الجزائر " وقالت: "نظام اللغة الواحدة بالجزائر .." وكتبت: "السلطة الجزائرية تفرض لغتها وكتبت: "العربية الفصحى تعمم على حساب العربية الجزائرية والبربرية، والفرنسية...؟! "

- وقال عنوان لوموند تمرد ضد التعريب في الجزائر !"

- وقال عنوان لونيوفال أو بسرفاتور: فرض العربية بالكرباج !"

- وقالت ال / فيكارو / في عنوانها الأساسي، وكأنها تدعو إلى العصيان والتمرد تعبئة ضد التعريب في الجزائر!!³⁸

وهذا يقودنا إلى استخلاص نتيجة مؤداها إنّ إشكالية الهوية في المجتمع الجزائري لا يمكن تناولها بمعزل عن التركيبة الاستعمارية التي سعت، بشكل ممنهج، إلى زعزعة التركيبة الاجتماعية الوطنية عبر إذكاء النعرات العرقية والجهوية. فقد كانت هذه الإستراتيجية جزءاً من سياسة استعمارية تهدف إلى تفكيك الوحدة الوطنية، بما يسهل استمرار الهيمنة وتكريس التبعية، ليس فقط خلال الحقبة الاستعمارية، بل حتى في مرحلة ما بعد الاستقلال، من خلال استمرار أثر هذا التمزق الرمزي والثقافي. ويُعزّز هذا التصور ربما بروز إشكالية الهوية البربرية في الجزائر، دوناً عن المناطق الأمازيغية من شمال المغرب العربي، مما يدفع إلى التساؤل حول الدوافع السياسية الكامنة وراء تشكّل هذا الوعي الهوياتي المحدود جغرافياً.

إن المجتمع الجزائري له عينان عين العربية وعين الأمازيغية فبدون العربية أعمى وبدون الأمازيغية أعور، وما يأتي خارج هاتين اللغتين فهو خطر، خصوصاً إذا اعتبرنا أن الوافدين من اللغات الأجنبية هي لغات الخلاص الاجتماعي والتقدم الحضاري، علينا أن نحصرها فقط في منظور الحمولة العلمية لا غير³⁹.

ونؤكد أنه لا وجود لهوية ثقافية قابلة للتعريف بصفة نهائية، بمعزل عن الإحساس بالانتماء وإرادة الاختلاف عن الآخرين، فلا جدوى من طرح أسئلة عن الهوية بهدف إعطائها تعريفاً يُحدد كنهها بشكل نهائي، يأتي من خارجها، فلا فائدة من التساؤل مثلاً عن هم القبائل أو الشاوية أو الميزابيون أو الطوارق، ولكن من المهم جداً معرفة ماذا يعني الانتماء إلى تلك الفئات، وبالتالي فإن السؤال الأكثر إجرائية هو: كيف ولماذا في حقبة زمنية وسياق محدد تثبت هوية معينة أو يعاد فيها النظر ؟⁴⁰

وبالعكس ما أن نتصور هويتنا بوصفها مكونة من انتماءات متعددة، بعضها يرتبط بتاريخ اثني وبعضها لا، بعضها يرتبط بموروث ديني وبعضها لا، ما أن نرى في ذاتنا وفي أصولنا وفي مسارنا تقاطعات ومساهمات وتهجينات ومؤثرات متنوعة ودقيقة ومتناقضة، حتى تتولد لدينا علاقة مختلفة مع الآخرين وكذلك مع قبيلتنا. لم يعد هناك بكل بساطة «نحن» و«هم»، أي جيشان مستنفران يستعدان للمواجهة الوشيكة

والثار القريب. بات يوجد في جانبنا أشخاص أشارك معهم بأشياء قليلة جداً، وإلى جانبهم أشخاص أستطيع أن أشعر أنني قريب جداً منهم.⁴¹ ويوجد في كل العصور أناس يعتبرون أن هناك انتماء واحداً مسيطراً، يفوق كل الانتماءات الأخرى وفي كل الظروف، إلى درجة أنه يحق لنا أن ندعوه «هوية». هذا الانتماء هو الوطن بالنسبة لبعضهم والدين بالنسبة لبعضهم الآخر. ولكن يكفي أن نجول بنظرنا على مختلف الصراعات التي تدور حول العالم لنتنبه إلى أن أي انتماء لا يسود بشكل مطلق. فحيث يشعر الناس أنهم مهددون في عقيدتهم يبدو أن الانتماء الديني هو الذي يختزل هويتهم كلها. ولكن لو كانت لغتهم الأم ومجموعتهم الاثنية هي المهددة لقاتلوا بعنف ضد أخوتهم في الدين. فالأتراك والأكراد كلاهما مسلم ولكنهما يختلفان في اللغة ألا يدور بينهما صراع دموي، هذه الامثلة تبين أن العناصر التي تشكل هوية كل فرد فهي ليست ثابتة، بل تتغير مع الزمن وتغير التصرفات بعمق.⁴²

أن الهوية تعبر عن محصلة التفاعلات " Couche Denis فيرى دونيس كوش أما من الناحية الأنثروبولوجية الاجتماعي، قريباً كان أو بعيداً. إن هوية الفرد الاجتماعية تتميز بمجموع المتنوعة بين الفرد و محيطه صنف جنسي و إلى صنف عمري و إلى طبقة اجتماعية و إلى انتماءاته في النسق الاجتماعي: الانتماء إلى الآخرون ضمن النسق الاجتماعي و أن يحدد أمة،... الهوية تمكن الفرد من أن يحدد لذاته موضعاً موضعها اجتماعياً

4- أزمة الهوية واللغة في الجزائر بين الإرث الكولونيالي والسلطة الرمزية.

بعيدا عن الانطباعات الإعلامية السطحية التي قدمت الصراع بين العربية والأمازيغية بوصفه أزمة هوية أو شعوراً فردياً بالاعترا ب، يمكن فهم هذا الصراع كظاهرة رمزية - سياسية مركبة تتجاوز اللغة وحدها. إن جذوره تنبثق من إرث استعماري مستمر، أعاق تشكيل انسجام هوياتي موحد بعد الاستقلال، وأعاد إنتاج الصراعات داخل نسق الدولة والمجتمع. كما أن السياسات الرمزية للنخبة الحاكمة لعبت دوراً أساسياً في إعادة توزيع السلطة اللغوية والثقافية، فحيث كانت الفرنسية أداة للتحديث والتنمية، سعت العربية لاستعادة حضورها الرمزي، ومع مرور الزمن، تحول الصراع إلى إعادة تعريف الهويات الجمعية بين اللغة العربية والأمازيغية. من هذا المنظور، يتضح أن الأزمة ليست صداماً لغوياً محضاً، بل تجلي لصراع حول الرموز والهيمنة داخل الفضاء الاجتماعي، حيث تعيد اللغة إنتاج علاقات القوة والاعتراف الاجتماعي بدل أن تكون مجرد انعكاس للهوية الذاتية للأفراد.

لقد تناول محمد العربي ولد خليفة هذه القضية في عمله المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية» من منظور يدمج التحليل الاجتماعي السياسي، والتاريخي متجاوزا القراءة السطحية للصراع اللغوي فقراءته تتماهى مع تصور الهوية كنسق مركب تتقاطع فيه اللغة السلطة، والذاكرة التاريخية، حيث تصبح اللغة أداة رمزية للتفاوض على الاعتراف الاجتماعي أكثر من كونها مجرد رمز للانتماء العرقي أو القومي. ومن هذا المنطلق، يُعيد الكتاب صياغة فهم الأزمة في الجزائر، ليس كتصادم لغوي بحت، بل كحالة تفاعل بين الهياكل الاجتماعية، الإرث الاستعماري، والممارسات السياسية المعاصرة، حيث تتداخل الرموز اللغوية مع السلطة والهيمنة في تشكيل الانتماءات الجماعية. فيقول :

ولكن لماذا تتسم المسألة اللغوية في بلادنا بدرجة عالية من التعقيد ؟ سوف نقدم عناصر للجواب ونخص منها بالذكر هنا ما يلي :

1. ابتعاد كثير من المقاربات عن توصيف الواقع اللساني في الجزائر وتحليله كما هو في الواقع، وليس كما ينبغي أن يكون.

2. إغفال تاريخية الوضعية اللغوية في الجزائر خلال القرنين الأخيرين وحقبة الاحتلال وممارساته الإجرامية التي جعلت من العقيدة واللسان جنسية وملجأ ومؤسستهما بديلا للدولة التي غيبتها الاحتلال.

3. الاعتقاد ببقاء تلك الوظيفة على حالها بعد استعادة الدولة والتحولات الكثيرة التي حدثت في المجتمع بعد تعاقب جيلين ما بين 1962 و 2000⁴³.

فبشكل استثنائي، يستمر مجتمع في الحفاظ على تماسكه الداخلي وكيانه الجمعي في غياب الدولة أو إنكار وجودها، كما تجلى في التجربة الجزائرية على مدى أكثر من قرن. فالتماسك الاجتماعي هنا لا ينبع من أي فرض سلطوي، ولا من

حالة أقلية تواجه هيمنة خارجية، بل من استقرار نسق رمزي - ثقافي متجذر، يتمثل في الهوية العربية الإسلامية، ومن قبول جماعي طوعي للمرجعية المشتركة التي تمنح الانتماء ديمومة وشرعية، مستقلة عن أية بنية سياسية. بهذا المعنى، يصبح المجتمع متماسكا ليس بوصفه محصناً ضد الفرقة بالقوة، بل بوصفه نسقاً يحقق نفسه ذاتيا من خلال التوافق على الرموز والقيم المشتركة التي تمنح الكيان الاجتماعي استمراره.

هذا المسار التاريخي يشير إلى أن ما يُعرض على أنه أزمة هوية ليس نابعا من المجتمع ذاته، بل تجسيد الصراعات رمزية وسياسية مفروضة، تعطي الانطباع بأن الانقسام قائم ذاتيا، في حين أنه في الجوهر مفتعل ومصطنع.

هدم المركز طال في الحقيقة نواته الصلبة وهي البعد الروحي والحصاري للهوية فلا سبيل لإشغال الجزائر بنفسها، وإضعافها من الداخل، إلا عن طريق اشتباك مهلك يستترف قواها، ويعطل وظائف هويتها المتمثلة في إسلام يجمع ويوحد، ولغة لا علاقة لها بالعرق والطائفة ولا بالتقدم أو التخلف، وأمازيغية سكنت بين الإسلام وسكنت إليه هي في تناغم ووثام و لم تدخل الهوية في صراع مع أية لغة أو لهجة في أية جهة من الوطن، باستثناء واحدة هي الفرنسية التي كانت جزءا من جهاز القمع والاستعلاء والاحتواء الكولونيالي، ولا بد لفهم اتجاه القسم الأكبر من رأينا العام الثقافي نحوها من وضعها في ذلك السياق التاريخي أو ما يسميه قانون "الوضعية الكولونيالية" (Situation coloniale)⁴⁴

إن الصراعات اللغوية التي تبدو مهددة للتعايش السلمي للشعوب لا تنشأ بالضرورة من تراكمات تاريخية دائمة بين الأقليات اللغوية، بل كثيرا ما تتشكل عبر السلطة الرمزية والممارسات المؤسسية التي تعيد إنتاج الاختلافات ضمن نسق اجتماعي معين فالانتماء إلى الجماعة ليس حقيقة بديهية أو ثابتة، بل هو عملية مستمرة ومعقدة تتداخل فيها العوامل التاريخية، الاجتماعية والسياسية، وتتشابك فيها المواقع النسبية للفرد ضمن البنية الاجتماعية الأكبر. ومن هذا المنظور تفهم الهوية بوصفها شبكة متشابكة من الهويات الجزئية والمراتب الرمزية تعكس سلسلة من الالتزامات والولاءات المتبادلة، حيث لا تحددها اللغة وحدها، بل تُعاد صياغتها باستمرار من خلال التفاعلات الاجتماعية والممارسات الثقافية والسياسية التي تعطي الانتماء معناه واستمراريته.

5. خاتمة:

لقد أفرز التاريخ المشترك بين العرب والأمازيغ نموذجا من التعايش والتكامل الثقافي، قوامه الإسلام، والانتماء الوطني، واللغة كأداة للتواصل لا للصراع. ومع ذلك، فإن السياسات الثقافية في مرحلة ما بعد الاستقلال لم تنجح دائما في تجاوز الإرث الاستعماري أو تفكيك مخلفاته الرمزية. وعليه، فإن مواجهة هذه الإشكالية تقتضي تبني مقاربة شاملة للهوية بوصفها كيانا حيا، متحوّلا، يتغذى من تعددية الانتماءات لا من صراعاتها، ويستمد تماسكه من الاعتراف بالآخر، لا بإلغائه. فلا سبيل لبناء وطن موحد من دون وعي جمعي بأن تعددية الهويات الثقافية ليست تهديدا، بل شرطا لتأسيس مواطنة جامعة،

وعدالة لغوية، وسلام اجتماعي دائم. ونؤكد أن اللغة لها دور مركزي في بناء الوعي الجمعي، لهذا ضرورة الاهتمام باللغة في صورتها المتنوعة، بكونها سكن الإنسان وموطنه بلغة الفيلسوف الألماني هيدجر.

لان الأمة ليست مجرد تجمع بشري، بل مبدأ روحي يشكل الجوهر النفسي للكيان الجمعي. في تكوين هذا المبدأ تتقاطع بعدان: الأول متصل بالماضي، حيث تتجسد الأمة في إرث مشترك من الذاكرة الجماعية والتجارب المتراكمة، كقوة تأسيسية تشكل وحدة الوعي الجمعي الثاني متصل بالحاضر، ويظهر في التوافق الاجتماعي الرغبة في الاستمرار في الحياة المشتركة والإرادة التي تمنح شرعية لهذا الإرث وتؤكد استمراريته بهذا تصبح الأمة نسقًا متداخلا بين الماضي والحاضر، بين الذاكرة المتوارثة والفعل الجماعي الحاضر، حيث تولد الهوية الجمعية من تفاعل الزمنين ومن الشرعية التي تمنحها الإرادة المشتركة للانتماء والاستمرار.

6.الهوامش:

- ¹ - اللغة العربية ، من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية، المجلس الأعلى للغة العربية ، 2005 ، ص 226
- ² - ناصر الدين سعيدوني ، المسألة الثقافية في الجزائر ، النخب ، اللغة ، الهوية ، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات ، قطر ، ط1 ، 2021 ، ص 45
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 3 ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1998 ، ص 25³
- ⁴ - اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية ، مرجع سابق ، ص 22
- ⁵ - عثمان سعدي ، اللغة والهوية بين الثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية ، الطبعة الأولى ، الجزائر : دار الأمة للطباعة والنشر ، 2014 ، ص 22
- صالح بلعيد ، ترسم الأمازيغية - حل أم عقد التخطيط والسياسة اللغوية ، السنة الأولى ، العدد 1 ، أكتوبر 2015 ، ص 32⁶
- ⁷ - Barbara Bosch ، «Ethnicity markers in Afrikaans» International Journal of the Sociology of Language ، vol. 144 ، no. 1 (January 2000) ، pp. 51-68
- ⁸ - ساطع الحصري: ماهي القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1985، ص 251
- ⁹ - جون إي. جوزيف، اللغة والهوية (Language and Identity)، إذنية: دار نشر جامعة إذنية، 2004، ص 63
- جون إي. جوزيف، اللغة والهوية ، ص 64¹⁰
- ¹¹ - كولماس ف ، دليل السوسيولسانيات المنظمة ، ترجمة. خالد الأشهب و. ماجدولين النهبي' مركز دراسات الوحدة العربية ، دت، ص 689
- عبد الرزاق الدواي ، اللغة والهوية في الوطن العربي ، ص 233¹²
- أمين معلوف ، الهويات القاتلة ، ص 16-17¹³
- ¹⁴ - ناصر الدين سعيدوني ، المسألة الثقافية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 47
- ¹⁵ - محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية. 2007 ، ص 119
- محمد العربي ولد خليفة، المرجع نفسه ، ص 186¹⁶
- ¹⁷ - ناصر الدين سعيدوني ، المسألة الثقافية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 47
- ¹⁸ - محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سابق ، ص 118-119
- ¹⁹ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع نفسه ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 29
- ²⁰ - اللغة العربية ، من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية ، ص 225
- ²¹ - المرجع نفسه ، ص 230
- ²² - المرجع نفسه ، ص 18
- محمد العربي ولد خليفة ، المسألة الثقافية وقضايا اللسان ، مرجع سابق ، ص 185²³

*- حيث بادرت السلطة الحاكمة إلى إصدار القوانين الضامنة للهوية العربية الإسلامية للجزائر . فكانت النصوص القانونية التي تشترع لعروبة الجزائر هي: المادة الثالثة من الدستور الجزائري الصادر في 1963 ، ولا تزال هذه المادة بترتيبها مستقرة إلى اليوم ونصها اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمة". القانون 868 والقانون 92-8 المؤرخان في 26/4/1968؛ إذ يجبر الأول منها معرفة المواطنين للغة العربية ويجبر الثاني المواطنين على معرفة هذه اللغة. القانون 70-20 المؤرخ في 19/2/1970 الموجب لاستعمال اللغة العربية في تحرير جميع وثائق الحالة المدنية. وبموجب هذا الأمر الرئاسي صدر قرار وزاري يتضمن تحديد مستويات معرفة اللغة العربية بالنسبة للإدارات الوطنية والجماعات المحلية والهيئات العمومية.

القانون 73-55 المؤرخ في 1/10/1973 المتضمن تعريب الأختام الوطنية. القانون 91-5 المؤرخ في 16/1/1991 المتضمن تعميم استعمال اللغة العربية وينص على أن تطبق أحكام هذا القانون فور صدوره، على أن يتم ذلك في أجل أقصاه 5/7/1992. وفي جويلية 1992 يصدر مرسوم تشريعي يمدد الآجال دون تحديد لها. ويبدو هذا التمدد من الأمور التي سمحت بتجميد قانون التعريب وعودة اللغة الفرنسية إلى الاستعمال في الخطاب الرسمي والشعبي على حد سواء.المصدر ، الدستور الجزائري الجريدة رقم 76 المؤرخة في 8 ديسمبر 1996 معدل بالقانون 03-02 الممضي في 10 أبريل 2002. الجريدة رقم 25 المؤرخة في 14 أبريل 2000 ، J.O.R.A. du 14 juillet 1981, p703.

J.O.R.A. du n° 1 (2 janvier 1970) au n° 104 (24 décembre 1970), p 276-

J.O.R.A. du n° 1 (2 janvier 1973) au n° 104 (24 décembre 1973), p765-
Loi no 91-05 du 16 janvier 1991.

* ينظر النقاشات التي دارت بين الاعضاء من التخب الثقافية والسياسية حول الاستراتيجية أو الإيديولوجية التي ينبغي ان تدار بها المرحلة القادمة ، خلال انعقاد المجلس التأسيسي عام 1962- خطاب كلا من الرئيس بن بلة وهوارى بومدين حيث أعربا عن ضرورة تبني اللغة العربية لغة وطنية ، الدستور الجزائري لعام 1963 والذي نص على أن العربية لغة عمل الدولة الجزائرية المستقلة، ثم أقرت السلطة الجزائرية مشروع تعريب الإدارة في عهد الرئيس أحمد بن بلة، وظل المشروع حبيس الأدراج، وجاءت الانطلاقة الفعلية للتعريب في عهد الرئيس الراحل هوارى بومدين، حيث أصدر قرارا في عام 1971 يجعل ذلك العام سنة الحسم لتعريب الإدارة العمومية، ونص دستور 1976 على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية، وفي عهد بومدين تم تعريب السنة الثانية الابتدائية عام 1977 وتعريب نظام العدالة عام 1977 ثم تكونت اللجنة الوطنية للتعريب لمتابعة عملية التعريب ومراقبتها ولكن المشروع ظل يتعرض للتعطيل من حين لآخر تتجاذبه أطراف متصارعة فلم يكن هناك جدية في حسم الامر من قبل السلطات المتعاقبة ، ينظر تفصيل ذلك ،عبد الرحمن سلامة، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- مصطفى الأشرف ، الجزائر :الامة والمجتمع ، تر حنفي بن عيسى،دار القصة للنشر ، 2007 ، ص438- 439²⁴

- مصطفى الأشرف ، المرجع نفسه ، ص 430²⁵

26- محمد المنجي الصيادي ،التعريب وتنسيقه في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 5، 1993، ص148

27- عثمان سعدي التعريب في الجزائر ، بيروت : دار الطليعة1967 ، ص 34

محمد المنجي الصيادي ،التعريب وتنسيقه في الوطن العربي،مرجع سابق، ص147²⁸

29- <https://www.raialyoun.com/> -عثمان سعدي ، اللغة العربية في عهد عبد العزيز بوتفليقة،

- عربي بومدين، اللغة والهوية في الجزائر ،المستقبل العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ، 2019، ص 73³⁰

31 - المرجع نفسه ، ص73

- مولود نايت بلقاسم ،، أصالة أم انفصالية، الجزء 2 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1991، ص 367³²

33 - مولود نايت بلقاسم ، المرجع نفسه، ص51

- مولود نايت بلقاسم ، المرجع نفسه ، ص89³⁴

35 - محفوظ خناح ،الجزائر المنشودة المعادلة المفقودة : الاسلام ، الوطنية ، الديمقراطية ، ط2، دت ، دار الجمعة للإعلام والنشر ، الجزائر ، ص105

37 - عثمان سعدي ، عروبة اللغة الأمازيغية وإيديولوجية النزعة البربرية الاستعمارية <https://www.raialyoun.com/>

38 - محمد بلقاسم خار، حوار مع الذات ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2000، ص193

- عربي بومدين، اللغة والهوية في الجزائر ، مرجع سابق، ص 77³⁹

40 - محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، مرجع سابق، ص122

⁴¹ - أمين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة نبيل محسن، الطبعة الأولى، دار ورد للنشر و التوزيع، 1999، دمشق، ص31

⁴² - أمين معلوف، المرجع نفسه ، ص 16-17

- محمد العربي ولد خليفة، *المسألة الثقافية وقضايا الدماء والهوية: دراسة في مسار الأفكار في علاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية*، منشورات كُلة، الأبيار - الجزائر، 2007 ص 123⁴³

- محمد العربي ولد خليفة، *المسألة الثقافية وقضايا الدماء والهوية*، ص 185-186⁴⁴